المبحث الثالث:

وسائل السياسة الخارجية

مثلما نتحدث في الاقتصاد عن الطلب الفعال ونعني به الرغبة في الشراء مقرونة بالقدرة الشرائية، فاننا في السياسة الخارجية نتحدث عن السياسة الخارجية الفعالة ونعني بها الرغبة في تحقيق هدف خارجي مقرونة بالقدرة على تحقيق هذا الهدف. والدولة عادة ما تترجم مقدرتها على تحقيق الهدف من خلال استخدامها لوسائل مختلفة اهمها: الدبلوماسية، القوات المسلحة، الدعاية، الادوات الاقتصادية، والاستخبارات العامة. وحيث ان استخدام الاستخبارات العامة كأداة للسياسة الخارجية محصورة بدول معينة هي الدول القوية والنشطة في المجتمع الدولي فاننا سوف لن نتطرق لها في هذا المبحث حيث أن استخدامها يعتبر استثناء وليس قاعدة. وفي استعراضنا لوسائل السياسة الخارجية الأخرى سنتطرق أولا للدبلوماسية حيث انها أقدم الوسائل التقليدية لتنفيذ السياسة الخارجية ثم الى القوات المسلحة حيث أنها تلي الدبلوماسية من حيث الأهمية التاريخية وبعد ذلك سنتطرقْ الى الوسائل الحديثة ونعني بها الدعاية والأدوات الاقتصادية.

الدبلوماسية: Diplomacy

يقصد بالدبلوماسية عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول في غمار ادارتها لعلاقاتها الدولية[1]. و يعرفها الخبير الدبلوماسي الأمريكي «جون

---

١ - د. بطرس غالي، د. محمود عيسى **المدخل في علم السياسة** (القاهرة: مكتبة الانجلومصرية، ١٩٧٩م) ص. ٣١٥.

كينان» بأنها «عملية الاتصال بين الحكومات»[٢]. والدبلوماسية الفعالة هي الدبلوماسية التي تدعمها وسائل السياسة الخارجية الأخرى وبالذات القوات المسلحة والأدوات الاقتصادية. فبدون دعم تلك الوسائل ستكون فعالية الدبلوماسية محدودة ان لم تكن معدومة.

لقد مرت الدبلوماسية المعاصرة بعدد من مراحل التطور. فهي ظهرت مع ظهور الاتصال بين الجماعات البشرية. لكنها لم تتبلور بمفهومها الحديث الا منذ منتصف القرن الخامس عشر وبالتحديد منذ عام ١٤٥٥م حينما بعث حاكم امارة «ميلانو» أول سفير ليقيم بصفة دائمة في امارة «جنوة»[٢]. ومنذ ظهورها كأداة هامة للسياسة الخارجية مرت بمرحلتين مميزتين: المرحلة الاولى بدأت منذ منتصف القرن الخامس عشر واستمرت حتى الحرب العالمية الأولى. أما المرحلة الثانية فلقد بدأت بانتهاء الحرب العالمية الأولى ولا تزال مستمرة.

لقد عرفت الدبلوماسية خلال المرحلة الأولى من تطورها «بالدبلوماسية التقليدية». ولقد اتسمت الدبلوماسية خلال تلك المرحلة بسمات ميزتها عن المرحلة اللاحقة. فلقد كانت محدودة التأثير في السياسة الدولية حيث لم يتعد تأثيرها نطاق الدول التي تمارس عملية الاتصال الدبلوماسي. فلم يكن للدبلوماسية في تلك المرحلة تأثير أو أبعاد دولية أو اقليمية. ونتيجة لذلك لم يكن لها أهمية وفاعلية في السياسة الدولية. وبالاضافة الى ذلك اتسمت الدبلوماسية في مرحلتها التقليدية بالسرية حيث كان الاتصال بين الحكومات أو بالاصح بين الملوك او الاباطرة يتم في غاية السرية. والسبب في ذلك يرجع الى أن جميع الاتصالات الدبلوماسية التي كانت تتم بين الدول لم تكن ذات طابع اقتصادي او ثقافي بل كانت ذات طابع أمني وعسكري وهذا الطابع يفرض سرية العمل. كما أن التخلف في الاتصالات والمواصلات ووسائل الاعلام ومحدودية دور الرأي العام كلها ساعدت على نجاح سرية العمل الدبلوماسي.

وبعد الحرب العالمية الاولى بدأت الدبلوماسية التقليدية تتحول الى نمط

---

٢ - شارل ثاير، تعريب خيري حماد، **الدبلوماسي** (بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٦٠م) ص ٢٦.

آخر يعرف في الوقت الحاضر «بالدبلوماسية الحديثة» أو «الدبلوماسية الشعبية». وخلال عملية التحول تلاشت السمات الاساسية للدبلوماسية التقليدية وهي محدودية التأثير في العلاقات الدولية، والسرية وحل محلها سمات جديدة. ان اول ما يميز الدبلوماسية الحديثة عن الدبلوماسية التقليدية اتساع نطاق تأثيرها حيث اصبحت الاتصالات الدبلوماسية بين دولتين أو أكثر قد تؤثر سلبا أو ايجابا على الدول الأخرى. لقد أصبح للنشاط الدبلوماسي تأثير اقليمي وأبعاد دولية وهذا زاد من أهمية الدبلوماسية في السياسة الدولية. كما تميزت الدبلوماسية الحديثة عن الدبلوماسية التقليدية بتخليها النسبي عن طابع السرية المطلقة. فالقرارات الخارجية اصبح يساهم في صنعها أجهزة عديدة والسرية المطلقة في مثل هذا الوضع امر غير ممكن. ومما زاد من أهمية العلنية في العمل الدبلوماسي ظهور المؤسسات الديمقراطية من برلمانات، وأحزاب سياسية، وجماعات المصالح، وصحافة حرة وما تقوم به هذه المؤسسات من ضغط على الحكومات لنبذ السرية في سياساتها الخارجية واعلان اهدافها القومية. لقد اصبح من المهم جدا للرأي العام ان يعرف السياسة الخارجية للحكومة ومدى خدمة تلك السياسة **للمصالح** القومية.

لقد حظيت قضية السرية والعلنية في العمل الدبلوماسي باهتمام خاص في مناقشة الدبلوماسية كوسيلة للسياسة الخارجية. فهناك من يرى ان السرية مطلب ضروري لنجاح الدبلوماسية، اذ ان العلنية في العمل الدبلوماسي تعني كشف السياسات الخارجية والتي معظمها ذا صلة بالأمن القومي. كما أنها تضع الحكومة تحت ضغط الرأي العام والذي غالبا ما يكون وليد اعتبارات عاطفية بالاضافة الى ذلك طرح السياسة الخارجية للمناقشة العلنية سيؤدي الى انقسام الرأي العام حولها وهذا له أثر سلبي على الوحدة الوطنية. اخيرا الدبلوماسية العلنية تعني تحويل العمل الدبلوماسي من عمل مفيد وفعال يسعى لخدمة المصلحة الوطنية الى عمل اعلامي يمارس من أجل مصلحة الحكومة وزيادة رصيدها الشعبي. الا أن هذا النقد للعلنية في العمل الدبلوماسي قوبل بنقد مضاد من قبل انصار العلنية.

فأنصار العلنية يرون ان وظيفة الدبلوماسية الرئيسية هي الدفاع عن

المصالح الحيوية للشعوب، لذا من الحكمة ان يساهم الشعب في الدفاع عن مصالحه، وذلك بمعرفة السياسات التي ستحدد تلك المصالح وأبداء الرأي حولها. كما أن الشعب هو الذي سيدفع ثمن السياسة الخارجية الفاشلة وهو الذي سيجني ثمار السياسة الخارجية الناجحة، وحيث انه سيكون طرفا في عائد هذه السياسات فيجب ان يكون طرفا في صنعها. ان الشعب هو الذي سيتحمل عبء المساعدات الخارجية والتي ستدفع اما من حصيلة ضرائب المواطنون او من استزاف الثروة الوطنية. كما أن الشعب هو الذي سيقاتل في مغامرات الحكومة العسكرية. لذا يجب ان يساهم في تحديد الهدف الخارجي قبل أن يساهم في دفع ثمنه. ونتيجة لهذا الاختلاف بين انصار الدبلوماسية العلنية وانصار الدبلوماسية السرية، وحيث ان كلا من آراء الفريقين لا تخلو من الصحة والموضوعية، فلقد استقرت الدبلوماسية على نهج وسط هو السرية النسبية في العمل الدبلوماسي والعلنية النسبية في تحديد الأهداف القومية.

أنواع الدبلوماسية الحديثة:

ان مما زاد من أهمية الدبلوماسية كأداة للسياسة الخارجية تنوع انماطها وتعدد اشكالها فهي لم تعد ذلك النمط التقليدي المتمثل بشخصية السفير أو بنشاط البعثة الدبلوماسية وانما توسعت وأخذت اشكالا وانماطا مختلفة.

فقد تأخذ الدبلوماسية شكل «دبلوماسية القمة» Summit Diplomacy ويقصد بها المؤتمرات الدبلوماسية التي يعقدها رؤساء الدول فيما بينهم لمناقشة بعض القضايا الدولية أو العلاقات بين الدول المشتركة في لقاء القمة. لقد شاع في السنوات الأخيرة هذا النمط من الدبلوماسية. فنحن نسمع ونقرأ من وقت لآخر عن مؤتمر قمة عربي، وآخر اسلامي، وثالث لدول عدم الانحياز. وهذا النوع من النشاط الدبلوماسي يعكس مدى التطور في أهمية العلاقات فيما بين الدول واهتمام حكومات دول العالم في البعد الدولي. لقد جاءت فكرة لقاءات القمة كوسيلة لوضع حلول جذرية او اتفاقيات هامة بين الدول حيث ان لقاء زعماء الدول بما لديهم من صلاحيات واسعة سيساعد على توفير الوقت والجهد

وسرعة الوصول الى قرارات هامة. ان معظم ان لم يكن كل الاتفاقيات الدولية الهامة التي تم الوصول اليها بعد الحرب العالمية الثانية وكان لها اثر على مجرى العلاقات الدولية كانت وليدة لقاءات قمة بين الدول.

النمط او الشكل الاخر للدبلوماسية «دبلوماسية الأزمات» Crisis Diplomacy ويقصد بهذا النوع من الدبلوماسية النشاط الدبلوماسي الذي يوجه لحل أزمة دولية طارئة. وادارة الأزمات الدولية اصبحت ادارة هامة في العلاقات الدبلوماسية المعاصرة. ذلك ان المجتمع الدولي المعاصر معرض باستمرار لأزمات سياسية مختلفة نتيجة للاختلافات العقائدية، والسياسية، والاقتصادية بين الدول ولعدم مقدرة أو رغبة الدول في استخدام القوة العسكرية لوضع حد للازمات. لذا جاءت دبلوماسية الأزمات كبديل للحرب وكمخرج للتوتر بين الدول. وجرت العادة ان يمنح المبعوث الدبلوماسي الذي سيتولى حل الازمات الدولية صلاحيات واسعة تمكنه من التحرك الدبلوماسي السريع، وأن يراعى في اختياره خبرته في حل المشاكل الدولية وقدرته على فهم ابعاد المشكلة او الازمة المعنية.

وأما النمط الثالث والأخير للدبلوماسية المعاصرة فهو «دبلوماسية المحالفات» Alliance Diplomacy وهي تعني النشاط الدبلوماسي الذي يكرس لانشاء تحالفات عسكرية او تكتلات سياسية. ولقد ظهر هذا النمط من الدبلوماسية نتيجة لزيادة اتجاه الدول نحو التحالفات والتكتلات. لقد فرضت الطبيعة الفوضوية وصراع القوة في المجتمع الدولي المعاصر اهمية التحالفات العسكرية. كما أن التكتلات السياسية اصبحت اداة لزيادة النفوذ السياسي للمجموعات الدولية والدول القوية في المجتمع الدولي. ولما للتحالفات العسكرية والتكتلات السياسية من أهمية لأمن الدولة ونفوذها فلقد حظيت باهتمام خاص في المجال الدبلوماسي يفوق الاهتمامات الأخرى. فنحن كثيرا ما نلاحظ ان دولا معينة شكلت تحالفا عسكريا اما لتعزيز امنها الخارجي او لمجابهة تحالف عسكري مضاد. وأن دول أخرى شكلت تكتل سياسي دائم عن طريق انشاء جامعة، أو منظمة ، او مجلس، او هيئة مشتركة او تكتل سياسي مؤقت عن طريق تعزيز الاتصال فيما بينها وتنسيق سياساتها الخارجية تجاه الدول الأخرى والقضايا

الدولية. كل هذه التحركات سواء هدفت للتحالف العسكري او التكتل السياسي تدخل ضمن مفهوم «دبلوماسية المحالفات»[٣].

البعثة الدبلوماسية:

تتطلب عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول وما يترتب عليها من أعمال فرعية اضطلاع عدد من الاشخاص بمهام محددة، لذا جرت العادة بين الدول ان توفد كل منها مجموعة من الاشخاص للقيام بتلك المهام. وعادة يرأس المجموعة الموفدة شخص مسؤول يعتبر الممثل الاصيل لدولته لدى الدولة الموفد لديها و يقوم بادارة المجموعة وتوزيع العمل بين اعضائها. وتشكل المجموعة بما فيها الرئيس ما يسمى او يعرف «بالبعثة الدبلوماسية» Diplomatic Mission وليس هناك حجم محدد من الافراد للبعثة الدبلوماسية وانما يعتمد عدد افراد البعثة على المصالح التي تربط الدولة الموفدة للبعثة بالدولة الموفدة اليها.

وتتحدد مرتبة البعثة الدبلوماسية حسب الأهمية التي تعلقها الدولة على العلاقات الدبلوماسية التي تتبادلها مع الدولة الأخرى أو حسب مبدأ المعاملة بالمثل. الا أنه من الملاحظ ان معظم البعثات الدبلوماسية تكون على مستوى «السفارة» والتي يرأسها ممثل دبلوماسي برتبة سفير. و يأتي بعد السفارة من حيث الأهمية التمثيلية «المفوضية» و يرأسها ممثل دبلوماسي برتبة «مبعوث فوق العادة» أو «وزير مفوض». كما قد يرأس البعثة الدبلوماسية «قائم بالاعمال». وفي هذه الحالية تكون مرتبة البعثة الدبلوماسية من حيث الأهمية السياسية دون السفارة او المفوضية. فالسفير والمبعوث فوق العادة والوزير المفوض يعتمدون مباشرة لدى رئيس الدولة الموفدين لها باعتبارهم ممثلين لرئيس الدولة الموفدة للبعثة الدبلوماسية. أما القائم بالأعمال فيعتبر مبعوثا من قبل وزير خارجية دولته لدى وزير خارجية الدولة الموفد اليها البعثة. لذا ليس له حق الاتصال مباشرة برئيس

---

٣ - مقلد، **المصدر نفسه**، ص ٣٩٦ - ٤٢٨، بطرس غالي، د. محمود عيسى، **المصدر نفسه**، ص ٣١٩ - ٣٢٢.

الدولة المعتمد لديها[٤].

وتقوم البعثة الدبلوماسية بعدد من المهام التي ترتبط ارتباطا وثيقا بصناعة القرار السياسي الخارجي و بتنفيذ السياسة الخارجية للدولة. أولى هذه المهام تمثيل الدولة الموفدة للبعثة لدى الدولة المعتمدة لديها. و يتولى رئيس البعثة ذاته مهمة التمثيل حيث يقوم بحضور الحفلات والاستقبالات الرسمية التي تقيمها الدولة المعتمد لديها وتدعى لها السلك الدبلوماسي الأجنبي. كما يقوم رئيس البعثة الدبلوماسية بزيارات المجاملة التي جرى العرف على القيام بها في المناسبات المختلفة. وقيام رئيس البعثة بهذه المهمة له معنى خاص في العلاقات الدبلوماسية اذ أن حضوره ومشاركته يترجم الود والاحترام في حين ان غيابه قد يفسر على أنه موقف سلبي من قبل حكومته وهذا قد يؤثر على العلاقات بين الدولتين. وبالاضافة الى تلك المهمة تقوم البعثة بمهمة رئيسية أخرى هي التفاوض مع حكومة الدولة الموفدة اليها. وتتطرق المفاوضات الى كل ما يهم الدولة الموفدة. و يتم التفاوض عادة بين رئيس البعثة ووزير خارجية الدولة الموفدة اليها. لذا تعمل البعثة الدبلوماسية كقناة للاتصال الدائم بين الدولة الموفدة للبعثة والدولة الموفدة اليها. كما تقوم البعثة الدبلوماسية بمتابعة كافة ما يحدث في الدولة الموفدة اليها وابلاغ حكومتها أولا بأول بكل ما يهمها من الاحداث والتطورات. وعادة يستعين رئيس البعثة لمعرفة الاحداث في الدولة المعتمد لديها وتفسيرها بفريق من الملحقين السياسيين والتجاريين والعسكريين وعدد من الخبراء المختصين. وتقوم البعثة الدبلوماسية كذلك بمتابعة تنفيذ الدولة الموفدة اليها لالتزاماتها تجاه الدولة الموفدة لها والتدخل لدى وزير خارجية الدولة الموفدة اليها البعثة كلما حصل اخلال بتلك الالتزامات. وما يلزم الاشارة اليه في هذا المجال هو أنه ليس لرئيس البعثة الدبلوماسية او لأي من أعضاء البعثة حق التدخل مباشرة لدى السلطات المحلية وانما يتم التدخل عن طريق وزارة الخارجية. وتعمل البعثة الدبلوماسية كذلك على تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة الموفدة لها والدولة الموفدة اليها. اخيرا تقوم البعثة الدبلوماسية بأعمال ادارية ذات

---

٤ - علي صادق ابو هيف **القانون الدبلوماسي: دراسة للنظم الدبلوماسية والقنصلية وما يتصل بها.** (الاسكندرية: منشأة المعارف، طبعة ثانية) ص ١١٣.

صلة برعايا الدولة الموفدة للبعثة مثل حمايتهم وتسجيل المواليد والوفيات وعمل عقود الزواج والتأشير على جوازات السفر وعادة تقوم القنصليات التابعة للسفارة بهذه المهام حيث ان معظم هذه الاعمال ليست ذات طابع سياسي كما أن ممارستها لا تؤثر على طبيعة العلاقات بين الدول[٥].

القوات المسلحة: Military Power

تعتبر القوات المسلحة احدى الوسائل الاساسية لتنفيذ السياسة الخارجية واحدى المقومات الاساسية لنجاح الدبلوماسية. ورغم أن القوات المسلحة تعتبر باهظة التكاليف اذا ما قورنت بالدبلوماسية وغير مرغوب في استخدامها في المجتمع الدولي كوسيلة لتحقيق الاهداف الخارجية، الا أنها مع ذلك تحظى باهتمام بالغ لدى حكومات المجتمع الدولي ذلك أن الاداة العسكرية «تهيء خلفية من الثقة والاستقرار لعمل الدبلوماسية وأن التفاوض من مركز القوة حكمة سليمة، اذ لا يمكن لدولة لا تسندها قوة عسكرية ان تمتنع عن اعطاء تنازلات تضر بمصالحها الحيوية اذا تعرضت لضغوط وتهديدات ليس بوسعها ان تقاومها»[٦].

والقوات المسلحة تستخدم في اكثر من مظهر واحد. فبالاضافة الى استخدامها التقليدي ونعني به الاستخدام الفعلي وقت الحرب للدفاع أو الهجوم، تستخدم القوات المسلحة ايضا وقت السلم للضغط والردع وما يترتب عليهما من رضوخ الاطراف الأخرى وتحقيق المصالح القومية. ان استخدام القوات المسلحة كوسيلة للضغط والردع وقت السلم هو الذي يبرر النفقات الباهظة عليها و يزيد من قناعة المواطن العادي بأهمية هذه النفقات وتحمل اثارها. فعدم دخول القوات

---

٥ - هيف، المرجع السابق ص ١٠٥ - ١٠٦. انظر ايضاً أحمد حلمي ابراهيم، **الدبلوماسية: البروتوكول الاتيكيت المجاملة** (القاهرة: عالم الكتب) ص ٢٤ - ٢٦.

٦ - جوزيف فرانكل، ترجمة غازي القصيبي، **العلاقات الدولية** القاهرة: المكتب المصري الحديث) ص ١٦٨، أنظر أيضاً:

Stephen S. Kaplan, **Diplomacy of Power: Soviet Armed Forces as a Political Instrument** (Washington, D.C.. The Brooking Institution, 1981) p. 2-22 and Barry M. Blechman and Stephen S.Kaplan **Force without War: U.S. Armed Forces as a Political Instrument** (Washingtom, D.C.: The Brooking Institue, 1978) p.1-20.

المسلحة في حرب دفاعية او هجومية لا يعني توقف فاعليتها، بل أن استخدام القوات المسلحة في السلم للضغط والردع يفوق استخدامها في الحرب ذلك ان القتال استثناء والسلام هو القاعدة. كما أن الضغط والردع، اذا تم من خلالهما تحقيق الهدف القومي اكثر جدوى من الحرب حيث انهما لن يكلفا الوطن والمواطن اي عبء اضافي في حين ان الحرب سيترتب عليها خسائر اضافية للوطن والمواطن وحجم هذه الخسائر يتوقف على طول أمد الحرب ونوعية الاسلحة المستخدمة فيها.

وفي حالة الاستخدام الفعلي للقوات المسلحة سواء في حرب دفاعية او هجومية فان هذا الاستخدام سيأخذ شكل حرب تقليدية (تكتيكية) Tactical Warfare أو حرب ذرية (استراتيجية) Strategical Warfare. وفي الحرب التكتيكية تستخدم الاسلحة التقليدية مثل الطائرات الحربية والدبابات والمدافع وغيرها من الاسلحة ذات القوة التدميرية المحدودة، لان الهدف «تكتيكي» أي جزئي ومحصور بتدمير القوات المسلحة للطرف الآخر. أما الحرب الاستراتيجية فتستخدم فيها الاسلحة الذرية وما يلزمها من أجهزة ارسال الى الهدف المحدد Delivery system مثل الطائرات والصواريخ والغواصات الحاملة للاسلحة الذرية والرؤوس النووية. والقوة التدميرية لهذه الاسلحة غير محدودة ورهيبة، لذا يشمل التدمير بالاضافة الى القوات المسلحة كافة امكانيات الدولة المعادية الاقتصادية، والبشرية، والمدنية. وهذا الوضع مطلوب لأن الهدف استراتيجي، اي الحاق تدمير شامل لكل امكانيات الطرف الآخر.

الاستخدامات المختلفة للقوات المسلحة

تستخدم القوات المسلحة في أشكال مختلفة. ويمكن ان نحدد ثلاثة استخدامات رئيسية للقوات المسلحة[٧]. فقد تستخدم القوات المسلحة كأداة للهجوم Offensive War capability. واستخدام القوات المسلحة للتوسع والسيطرة سمة من سمات العلاقات الدولية المعاصرة. ان احتلال اسرائيل للاراضي العربية،

٧ - محمد علي العويني، **العلاقات الدولية المعاصرة: النظرية، التطبيق، الاستخدامات الاعلامية** (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٢م)، ص ١٢٩.

واحتلال الاتحاد السوفييتي لأفغانستان، وامريكا لغرينادا مجرد امثلة لحالات لا حصر لها توضح النزعة الاستعمارية والامبريالية لعدد من الدول في المجتمع الدولي، خصوصا الدول القوية التي لديها الامكانيات العسكرية التي تؤهلها لممارسة سياسة الاستعمار والاستيطان. ومما زاد من فاعلية واهمية استخدام القوات المسلحة كأداة للهجوم هو نجاح هذه السياسة في تحقيق عدد من الاهداف القومية للدول التي أخذت بها. كما أن الأخذ باستراتيجية الهجوم في الحرب يأتي من قناعة الدولة المهاجمة بأن الهجوم رغم ما يترتب عليه من مسؤوليات قومية وانتهاك للقوانين الدولية هو افضل وسيلة للدفاع وتحقيق الاهداف القومية حيث ان الدولة التي تبدأ الهجوم عادة ما تختار الوقت المناسب والظروف الملائمة للقتال، وهذا عنصر هام في تحويل مجرى الحرب وتحديد نتائجها.

وقد تستخدم القوات المسلحة كأداة للدفاع Deffensive War capability واستخدام القوات المسلحة للدفاع استخدام مشروع حيث ان الدولة مضطرة للدفاع عن امنها ومصالحها القومية. كما أن الدولة التي تلجأ للدفاع تحظى بدعم وعطف الرأي العام العالمي حيث ينظر اليها على أنها دولة معتدى عليها. لكن مقابل الشرعية والعطف العالمي تفقد الدولة التي تلجأ لاستراتيجية الدفاع مزايا عسكرية هامة منها فقدان زمام المبادرة والاستعداد وفرض الحرب عليها في وقت قد يكون غير مناسب وظروف غير ملائمة. ان المحصلة النهائية لاستراتيجية الحرب الدفاعية تعتمد على قدرة وامكانيات حكومة الدولة المدافعة والروح المعنوية لشعبها. فقد تدخل الدولة في حرب دفاعية لكن نظرا لتوفر الامكانيات لديها وقدرة حكومتها على التعبئة العسكرية وتضحية شعبها تحول الحرب الدفاعية الى حرب هجومية بعد احتواء الهجوم المعادي وصده ومن ثم تحويل المعركة الى اراضي الدولة المعتدية. وفي هذه الحالة تتحول الاستراتجية العسكرية للدولة من استراتيجية دفاع الى استراتيجية هجوم وهنا تكسب الدولة شرعية الحرب وتحقق مصالح قومية جديدة غالبا ما تكون مصالح استراتيجية.

وأخيرا تستخدم القوات المسلحة كأداة للردع Deterrent Capability. والردع سياسة معقدة تعني في مفهومها المبسط أن الاسلحة تخزن والجيش يجهز لا

بقصد الاستعمال في الهجوم وانما بقصد اقناع الخصم بأنها ستستخدم فورا لصد أي هجوم جدي يقوم به. ونجاح سياسة الردع يتطلب توفر عدد من المتطلبات الاساسية. اول هذه المتطلبات حيازة الدولة الرادعة امكانيات كافية من القوة لردع الدولة المهاجمة واقناعها بأن مسار المعركة في حالة وقوعها قد يتحول ضد مصلحتها. ثم لا بد أن يكون هناك تصميم ملموس من قبل الدولة الرادعة على الاستخدام الفعلي للامكانيات المتاحة لها لصد أي عدوان خارجي. كما أن الدولة المهاجمة يلزم ان تعرف معرفة دقيقة الامكانيات المتاحة لدى الدولة الرادعة. فمعرفة هذه الامكانيات سيساعد على نجاح سياسة الردع وعدم معرفتها سيشجع الدولة المعتدية على الهجوم. بالاضافة الى ذلك يتطلب نجاح سياسة الردع معرفة الدولة الرادعة للقيم التي تحكم سلوك الدولة التي تهدد بالهجوم. فالطبيعة العدوانية للدولة المهاجمة سوف تحد من نجاح سياسة الردع اذ ان الدولة العدوانية عادة ما تقدم على المغامرات العسكرية بغض النظر عن احتمالات النجاح. أخيرا لنجاح سياسة الردع يفترض ان المعتدي يتصرف بطريقة عقلانية و يقدر العائد والتكلفة للعمل العسكري ومدى خدمة هذا العمل للمصلحة القومية. فغياب العقلانية يعني انعدام التقييم الموضوعي للعمل العسكري والاستسلام للعواطف والرغبات. وهذا الاستسلام قد يدفع قادة الدولة المهاجمة الى الدخول في مغامرة عسكرية بغض النظر عن محصلتها النهائية[٨].

أنواع الحروب:

تأخذ الحرب في حالة وقوعها اشكالا مختلفة ومتباينة. و يأتي هذا الاختلاف من اختلاف الاهداف والامكانيات العسكرية. فقد تكون الحرب حربا خاطفة Blitzkrieg. وهذه الحرب عادة ما تكون ذات طابع هجومي حيث توجه الدولة ضربة خاطفة لمراكز تجمع الجيوش المعادية عن طريق استخدام اسلحتها السريعة والمتحركة. وتتميز الحرب الخاطفة بقصر مدتها الزمنية و بتحديد الهدف

---

٨ - مقلد، ص ٥١٥، ولمزيد من المعلومات عن نظرية الردع، أنظر:

Alexander L. George & Richard Smoke, **Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice** (New York: Columbia University Press, 1974) p. 9-57 and Holsti, **Op.Cit.** p. 312-346.

المنشود والموجه نحوه العمليات العسكرية تحديدا دقيقا. والدول التي تأخذ باستراتيجية الحرب الخاطفة هي الدول التي ليس لديها القدرة على تحمل الحرب لمدة طويلة من الزمن، أما بسبب قلة السكان او ضعف الاقتصاد او عدم تحمل الضغط العالمي المناوىء للحرب.

وقد تأخذ الحرب شكل حرب استنزاف War of Attrition وهي على خلاف الحرب الخاطفة تتميز بطول المدة واختلاف نوعية الاسلحة المستخدمة وتكتيكات القتال. ونجاح حرب الاستنزاف يتطلب توفر عدد من المتطلبات اهمها: ظروف طبيعية ملائمة، وقدرة البلاد على الصمود السياسي والاقتصادي والعسكري لفترة طويلة من الزمن، ورغبة الشعب في تحمل آثار الحرب ومتاعبها. والدول التي تأخذ باستراتيجية حرب الاستنزاف عادة ما تكون دول لديها كثافة سكانية تؤهلها لتوفير العدد اللازم من المقاتلين، ولديها شبه اكتفاء ذاتي في المواد الغذائية، والروح المعنوية لشعبها مرتفعة لدرجة تضمن للحكومة والقيادة العسكرية قاعدة شعبية صلبة. ولقد نجحت استراتيجية حرب الاستنزاف التي أخذت بها عدد من الدول الصغيرة والنامية في تحقيق انتصارات عسكرية لتلك الدول ضد الدول العظمى بامكانياتها العسكرية الهائلة. ولعل ابرز الامثلة على ذلك نجاح جبهة التحرير الجزائرية في حربها ضد الاستعمار الفرنسي، ونجاح حركة التحرير الفيتنامية (الفيتكونج) في حربها ضد الاحتلال الامريكي لفيتنام الجنوبية. لقد استطاعت هذه الحركات الوطنية ان تقلل الفجوة العسكرية بينها وبين القوى المحتلة عن طريق رفع الروح المعنوية لمقاتليها واتباع اساليب تتناسب مع امكانياتها العسكرية الذاتية وظروفها الطبيعية.

وقد تكون الحرب حربا وقائية Preventive war وهي تعني تدمير قوة الخصم والقضاء عليها قبل ان تنمو في كامل ابعادها. فاتباع هذه الاستراتيجية يضمن للدولة التي تشن حربا وقائية السيطرة العسكرية حيث أنها ستقضي على امل امتلاك الدولة المعادية للاسلحة المتطورة. ولقد ظهر في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٩٤٥-١٩٤٩م، وهي الفترة التي احتكرت فيها الولايات المتحدة الاسلحة الذرية، بعض الافكار التي تنادي بشن حرب وقائية ضد الاتحاد

السوفييتي قبل ان يتمكن من امتلاك الاسلحة الذرية اذ أن مثل هذه الحرب ضرورة لضمان التفوق العسكري الامريكي في المجال الذري. اما اسرائيل فلقد قامت بالفعل عام ١٩٨١م بتنفيذ غارة جوية وقائية ضد المفاعل الذري العراقي حيث هدفت من هذه الغارة القضاء على امكانية امتلاك العراق لأسلحة ذرية اذ أن امتلاك العراق لسلاح ذري سيهدد أمن اسرائيل و يقضي على احتكارها للسلاح الذري في منطقة الشرق الاوسط

وأخيرا قد تأخذ الحرب شكل حرب احباط Pre-emptive War وحرب الاحباط تعني الحرب التي تشنها دولة ما حينما يثبت لها أن خصمها يوشك ان يشن هجوما ضدها. لذا تعتمد حرب الاحباط و بدرجة كبيرة على المقدرة في تفسير نوايا الخصم وما اذا كان بالفعل يوشك ان يشن هجوما ام أنه يمارس نوعا من سياسة الردع واستعراض العضلات. والدولة التي تشن حرب الاحباط عادة ما تحاول ان تبرر هجومها على أساس أن أمنها في خطر وأن اقدامها على الحرب أمر لا بد منه للحفاظ على الأمن القومي. ومثال لحرب الاحباط الهجوم الذي قامت به اسرائيل خلال عام ١٩٦٧م، حينما قامت بشن هجوم مفاجيء ضد المنشآت العسكرية العربية تمكنت من خلاله احتلال ما بقي من فلسطين و بعض الاراضي المصرية والسورية. ولقد بررت اسرائيل هجومها هذا بحجة ان أمنها أصبح في خطر نتيجة لتحركات الجيوش العربية وتهديدات الزعماء العرب ووسائل الاعلام العربية.

الدعاية : Propaganda

تعني الدعاية أي محاولة منظمة للتأثير على عقول وعواطف وسلوك جماعة معينة تحقيقاً لهدف عام معين. والدعاية تشترك مع الدبلوماسية في انها نشاط كلامي بالدرجة الأولى، غير انها تختلف عن الدبلوماسية في انها توجه الى شعوب الدول الأخرى لا الى حكوماتها. ولقد عرفت الدعاية بأسماء مختلفة حيث سميت عند الانجليز (بالحرب السياسية) وعند الألمان (بالحرب الثقافية) وعند

الامريكيين (بالحرب النفسية)[٩].

ولكي تكون الدعاية ناجحة وفعالة يجب ان يتوفر بها عدد من الشروط الاساسية. فيجب ان تتسم أولاً بالبساطة في العرض حتى يمكن فهمها بدون جهد من قبل القريء والمستمع العادي حيث أن التعقيد عامل من عوامل الملل. فكلما كانت الدعاية بسيطة كلما زاد تأثيرها في عامة الجماهير وحققت بذلك لاهداف المرجوة منها. والبساطة في الدعاية تتمثل في استخدام الشعارات البسيطة ذات المعنى الكبير والمفهوم المؤثر. مثال على ذلك «الستار الحديدي» و «تجار الحروب». فالشعار الأول يشير الى دول المعسكر الاشتراكي وما تمارسه من نظم دكتاتورية، في حين ان الشعار الثاني يشير الى دول المعسكر الرأسمالي واعتمادها على الحروب لدعم صناعتها الحربية وتجارتها الخارجية. لذا، للشعارات دور خاص في تبسيط المادة الدعائية للقاريء والمستمع. وفي هذا المجال يقول هتلر «ان الدعاية الفعالة يجب ان تقتصر في كل مرة على نقط قليلة للغاية، فتستخدمها كشعارات حتى يستطيع أقل رجل ان يتصور المعنى المراد من الشعار أو الكلمة»[١٠].

كما يجب أن تتسم الدعاية بالقدرة على جذب انتباه القاريء أو المستمع واثارة اهتمامه. وكلما كانت الدعاية مرتبطة بالواقع الذي تعيشه الجماهير كلما قوى جذبها للأنتباه، ذلك ان الجماهير دائماً معنية بواقعها. كما ان الواقع الذي تعيشه الجماهير يساعدها على فهم محتوى الدعاية ومعناها. وبالاضافة الى الاهتمام بواقع الجماهير يجب الاهتمام بتحريك عواطفهم، لأن تحريك العواطف يساعد على اثارة الاهتمام بالمادة الدعائية. وقد تلجأ الوسائل الاعلامية الى معتقدات الجماهير الروحية وقيمها وتقاليدها لتحريك عواطفها واثارة الاهتمام لديها ومن ثم توجيهها والسيطرة على سلوكها.

والدعاية لكي تكون مقبولة يجب ان تكون الى حد ما معقولة. أي أن

---

٩ - د. عبد اللطيف حمزة، **الاعلام والدعاية**، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م)، ص ١٦١.

١٠ - احمد طاهر، **الاذاعة والسياسة الدولية**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ص ٥٨.

المادة الدعائية يجب أن لا تخلو من الصحة. ذلك ان الكذبة المطلقة ليس من السهل بيعها للجماهير، لأن الجماهير حينما تتلقى أي مادة دعائية تحاول مقارنتها الى حد ما بالواقع للتأكد من مدى صحتها النسبية. ولا يشترط ان تكون كل المادة الدعائية صحيحة. لكن يجب ان يتوفر فيها الى حد ما عنصر الموضوعية. مثال على ذلك قيام اذاعة اسرائيل في حملتها الدعائيه الموجهة ضد سوريا بأذاعة خبر مفاده وقوع انفجار هائل في احدى ضواحي دمشق راح ضحيته مئات المواطنين. فالجماهير السورية عند سماعها للخبر ستتوجه على الفور الى الضاحية التي حدث فيها الانفجار. فاذا وجدت أي معلم يدل على ان انفجار ما قد حدث بالفعل فهي سوف تصدق خبر الاذاعة الاسرائيلية بغض النظر عما اذا كان الانفجار مطابقاً لما قالته اذاعة اسرائيل أم لا. أما اذا وجدت ان المكان او الضاحية لم يتعرض لأي نوع من الانفجارات، وان الوضع طبيعي للغاية فسوف ترفض خبر الاذاعة الاسرائيلية وسوف تشكك في كل ما تقوله اذاعة اسرائيل في المستقبل.

وحتى تحقق الدعاية التأثير المنشود في عقول وعواطف وسلوك الجماهير يجب ان تكون المادة الدعائية متفقة في المضمون، ذلك ان التناقض في المضمون يؤدي الى التشكيك في المادة الدعائية. فاذا كان هدف الاعلام السعودي مثلاً تقديم مادة دعائية ضد دولة معادية فيجب ان يكون مضمون المادة متناسقاً في الراديو والصحافة والتلفزيون. فاذا وجد الجمهور المخاطب، مثلاً ان خبر الاذاعة الدعائي تؤكده الصحافة و يدعمه التلفزيون فان هذا سيزيد من قناعة الجمهور المخاطب بصحة الخبر. اما اذا قدمت الاذاعة خبراً اذاعياً، وقدمت الصحف نفس الخبر لكن في مضمون يختلف، وتجاهل التلفزيون الخبر كلية فان هذا سيدفع المواطن الى التشكيك في الخبر خصوصاً حينما يدرك أن الاعلام السعودي اعلام موجه حيث تسيطر الحكومة على كل من الاذاعة والتلفزيون. كما أن الصحف تعتمد اعتماداً كبيراً على دعم الحكومة لها.

ولترسيخ المادة الدعائية في اذهان الجماهير المخاطبة لا بد من تكرارها بحيث تظهر للجمهور المخاطب وكأنها حقيقة مسلم بها. فتقديم المادة الدعائية

مرة أو مرتين لا يكفي، بل لا بد من تكرارها عدة مرات وفي كافة لوسائل الاعلامية: الاذاعة، والصحافة، والتلفزيون. ولا يعني التكرار أو الترديد النمطية الجامدة، بل يجبذ تغيير الشكل الذي تقدم به الدعاية وتنويع الشعارات التي تقدم لدعمها. لكن محتوى أو مضمون الدعاية يجب ان لا يختلف حتى لا تناقض الدعاية الشرط الرابع لها وهو التوافق وعدم التناقض.

الاستراتيجيات الدعائية : وفي مجال الاستراتيجيات الدعائية يمكن ان نميز بين نوعين من الاستراتيجيات. الاستراتيجية الموضوعية أو استراتيجية الحقيقة Strategy of Truth واستراتيجية الكذبة الكبرى Big Lie Strategy.

الاستراتيجية الموضوعية تعني تقديم المادة الاعلامية للمستمع أو القاريء بشكل اخباري يراعي فيه أكبر قدر من الدقة والموضوعية ومن ثم يترك له مهمة استنتاج مغزى او دلالة الخبر الاعلامي. واستراتيجية الموضوعية مبنية على اساس ان تقديم المعلومات الصحيحة ذو أهمية سياسية خاصة لمواطن الدول ذات الاعلام الموجه والتي تحجب عن مواطنيها كثيراً من الحقائق الاعلامية. كما ان لهذه الاستراتيجة ميزة كبرى تتمثل في اجتذاب القراء والمستمعين الذين يحرصون على الحصول على معلومات صحيحة تساعدهم على تصحيح الأخبار المغلوطة والمشكوك فيها والتي تقدم لهم في الداخل. ولعل أبرز مثال لاستخدام الاستراتيجية الموضوعية استراتيجية «هيئة الاذاعة البريطانية» B. B. C. فلقد حظيت هذه الاذاعة نتيجة لاستخدامها الأستراتيجية الموضوعية بسمعة عالمية حيث زاد عدد مستمعيها عام ١٩٨٣م، عن مائة مليون مستمع[11].

لكن استخدام الاستراتيجية الموضوعية لا يعني بأي حال من الأحوال تحقيق الموضوعية أو قول الحقيقة كاملة. ففي هيئة الاذاعة البريطانية، مثلاً، نجد ان عملية الاختيار بين الاخبار المقدمة يتم وفقاً لما يخدم مصلحة الدولة صاحبة الاذاعة (بريطانيا) وهذا ما أشار اليه كاتب بريطاني حينما قال:

11- "B.B.C.Rules the World's Air Waves **"The Washington Post, July 26, 1983, p.A-12.**

لا يتوقع احد من هيئة الاذاعة البريطانية في بثها الموجه الى ما وراء البحار أن تركز على تخلف صناعة بناء السفن البريطانية كما تركز على تطور صناعتي بناء الطائرات والالكترونيات، أو أن تركز على عدم الكفاية النسبية في نظام التقاعد في بريطانيا قدر تركيزها على تقدم نضام الضمان الصحي البريطاني[١٢].

أما استراتيجية الكذبة الكبرى فهي تعني تحريف أو تشويه المادة الاعلامية من أجل التلاعب بالرأي العام الموجه نحو الدعاية. ولقد استعمل الاعلام النازي هذه الاستراتيجية بفعالية معتمداً على الفكرة التي عرضها «هتلر» في كتابه كفاحي وهي ان الكذبة اذا كانت كذبة كبرى ورددت ترديداً كافياً فسوف تصدقها الجماهير جزئياً على الأقل اذ أن الناس يفتقرون الى سعة الأفق اللازمة لأدراك أن تردد تصريحات ما لا يعني صحتها.

لقد كانت الدعاية احدى مقومات الحركة النازية وعاملاً من عوامل نجاحها. ولقد أكد هتلر هذا الدور للدعاية حينما قال في خطاب القاه عام ١٩٢٦م، «لقد أوصلتني الدعاية الى الحكم. وبالدعاية حافظنا على مركزنا. وبها سوف نستطيع أن نغزو العالم كله»[١٣]. ونظراً لهذا الدور البارز الذي انفردت به الدعاية النازية فلقد حظيت باهتمام خاص في مجال الدراسات الاعلامية والسياسية واصبح من المهم ان نتطرق ولو بشيء من الايجاز للأسس التي قامت عليها.

قامت الدعاية النازية على عدد من الأسس والتي شكلت في مجموعها هيكلاً متكاملاً للدعاية الالمانية خلال الحرب العالمية الثانية. أول هذه الأسس وجود صلة قوية بين المسؤولين عن الدعاية وأجهزة المخابرات، حيث تمد أجهزة المخابرات المسؤولين عن الدعاية بالمعلومات اللازمة عن الدولة المعادية، كما انها

---

١٢ - فرانكل، ترجمة القصيبي، المصدر نفسه، ص ١٥٨.

١٣ - حمزه، المصدر نفسه، ص ٢١٠.

قد تساهم في تنفيذ بعض المهام التي تدفع الجمهور المخاطب لتقبل المادة الدعائية. مثال على ذلك قيام مخابرات دولة (أ) ببعض الاعمال التخريبية في دولة (ب) ومن ثم قيام اجهزة الدعاية في دولة (أ) بتصوير هذه الاعمال التخريبية على انها علامة لانعدام الاستقرار في دولة (ب) وضعف في حكومتها. أما الاساس الثاني وجوب ان يكون التخطيط للدعاية وتنفيذها في جهاز مركزي واحد لضمان عدم وقوع التناقض الناتج عن تعدد الاجهزة. فاذا كان التخطيط يتم في جهاز مستقل عن الجهاز الذي يتولى التنفيذ فان هذا يفسح المجال للتعارض والاختلاف، وهذا بدوره يساعد على كشف مدى صحة المادة المقدمة ويحول دون التنفيذ الدقيق للحملة الدعائية. أما الأساس الثالث فيتمثل في وجوب التفاعل بين الدعاية وآثارها. أي يجب ان يكون التخطيط للدعاية مبنياً على آثار هذه الدعاية وجدواها. فقد يتضح من خلال تطبيق المراحل الأولى للخطة الدعائية ان الخطة غير ناجحة في التأثير في عقول وعواطف وسلوك الجمهور المخاطب. وفي مثل هذه الحالة يلزم اعادة النظر في الخطة الدعائية وتعديلها بما يحقق الهدف المنشود. فالاستمرار في خطة دعائية غير ناجحة بالاضافة الى كونه ضياعاً للجهد والمال يؤدي الى ردود فعل معاكسة من قبل الجمهور المخاطب.

الاساس الرابع للدعاية النازية يتضمن ان السيطرة على عقول وعواطف شعوب الدول المعادية هو مجرد وسيلة لغاية هامة هي التأثير في سياسات الخصم وسلوكه. لقد كان هدف الدعاية النازية خلال الحرب العالمية الثانية التأثير في مجرى الحرب وتحويلها لصالح الألمان. لذا كان الهدف تحطيم معنويات جنود وشعوب الدول المعادية لألمانيا مما يسهل تقدم الجيوش الألمانية. فالهدف اذا كان سياسات العدو وبالذات سياساته العسكرية. أما الأساس الخامس فهو استخدام جزء من المادة الاعلامية للعدو للتقليل من نفوذه. أي التركيز على الفرق بين ما يردده اعلام العدو وما يجري في واقع الدولة المعادية. مثال على ذلك ادعاء أحد المسؤولين في دولة معادية ان بلاده تنعم بالرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في حين أن احصائيات الدولة الرسمية والمعلنة تتحدث عن معدل مرتفع للبطالة والتضخم ونقص في مستلزمات الحياة الاساسية. هذا التناقض بين قول المسؤول والاحصائيات قد يستخدم كمدخل للتشكيك في اعلام الدولة المعادية ومعلومات

قادتها. والأساس السادس يتمثل بالتركيز على الترديد بدون مصادر. فلقد سبق وان أشرنا الى ان من شروط الدعاية الناجحة التكرار والترديد. وما تضيفه استراتيجية الدعاية النازية هو أن يكون الترديد بدون ذكر المصادر، ذلك ان تحديد المصدر قد يدفع القاريء أو المستمع للتأكد من صحة الخبر بمراجعة مصدره وهذا سوف يكشف حقيقة الخبر مما يحول دون قبوله والتشكيك في كل ما يقال مستقبلاً.

الاساس السابع والأخير للدعاية النازية هو مراعاة التوقيت في الحملة الدعائية. فاذا كانت الدعاية لدولة (أ) تريد أن تظهر الواقع الاقتصادي السيء لدولة (ب) فيجب ان تختار الوقت الذي يواجه فيه اقتصاد دولة (ب) بعض المتاعب مثل ارتفاع الأسعار والبطالة، حيث ان هذه المتاعب تجعل الجمهور في دولة (ب) مستعداً نفسياً لكل ما يقال عن سوء الأحوال الاقتصادية في بلاده[١٤].

الادوات الاقتصادية : Economic Instruments

احتلت الادوات الاقتصادية كوسيلة للسياسة الخارجية مكانة هامة في العلاقات الدولية المعاصرة. وهذه الأهمية للأدوات الاقتصادية جاءت من عاملين: الأول، احتلال الرفاهية الاقتصادية لشعوب المجتمع الدولي مكانة بارزة في سلم أولويات الاهداف القومية للحكومات المعاصرة. لقد اصبحت المشاكل الاقتصادية مثل البطالة، والتضخم، ونقص المواد الغذائية قضايا هامة تشغل بال الحكومات المعاصرة، اذ أن بقاءها في السلطة يعتمد على قدرتها في حل هذه المشاكل[١٥]. أما العامل الثاني، فهو زيادة الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول وما ترتب على هذا الاعتماد من زيادة في أهمية وأولوية الأدوات الاقتصادية كوسيلة للسياسة

---

١٤ - طاهر، المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٦٠. أنظر أيضاً: مقلد، المصدر نفسه، ص ٤٥٥ - ٤٥٩.

15- **Wolfram F. Hanrieder, "Dissolving International Politics: Reflections on the Nation-State" The American Political Science Review,** 72:4 (December, 1978) p. 1280.

الخارجية[16]. فاليابان مثلاً، يعتمد اقتصادها القومي على استيراد المواد الأولية من دول اجنبية وبالذات دول الشرق الأوسط، وعلى تصدير منتجاتها الصناعية الى دول أجنبية وبالذات دول أمريكا الشمالية. لذا اصبح أمن اليابان الاقتصادي وبقاؤها كقوة اقتصادية دولية يعتمد اعتماداً شبه كلي على دول اجنبية. أما بالنسبة للملكة فيلاحظ المراقب لسياستها الخارجية ان التطور المفلجيء في نفوذها الدولي ظهر بعد أكتوبر عام ١٩٧٣م. حيث حدث التغير المفاجيء في اسعار البترول وما ترتب على هذا التغير من زيادة في ايرادات المملكة ومن ثم زيادة ارصدتها في الدول الغنية ومساعداتها للدول الفقيرة. لقد أعطى البترول للمملكة مكانة فريدة ومميزة في المجتمع الدولي حيث لم يعد تأثيرها ينحصر في سياسات الدول العربية والاسلامية كما كان قبل عام ١٩٧٣م. بل امتد هذا التأثير ليشمل سياسات دول غير عربية وغير اسلامية مثل فرنسا واليابان. ولقد ترتب على زيادة أهمية الأدوات الاقتصادية كوسيلة للسياسة الخارجية تنوع هذه الأدوات واختلاف أساليب استخدامها. كما تعددت الدول التي استفادت منها بحيث لم يعد استخدام تلك الادوات حكراً على الدول الغنية كما كان في السابق، بل ان الدول النامية الغنية بدأت ايضاً تستخدم تلك الأدوات بفعالية لم تعهد من قبل لتحقيق أهدافها الخارجية[17].

تعتبر التعريفات الجمركية Tarrifs من أهم وأقدم الأدوات الاقتصادية. وتفرض التعريفات الجمركية لأهداف مختلفة. فقد تفرض كوسيلة للحصول على ايرادات مالية، حيث ان الدولة التي تعاني من مشاكل مالية تجد التعريفة وسيلة للحصول على ايرادات تساهم في دعم الميزانية العامة للدولة. وقد تفرض التعريفة الجمركية كوسيلة لحماية المنتجات الوطنية، اذا ان فرض التعريفة الجمركية على السلع المستورة سيزيد في سعرها ويحد من منافستها للمنتجات المحلية. كما قد تفرض التعريفة الجمركية كوسيلة للانتقام ضد دولة، حيث أن فرض التعريفة

16- See Edward L. Morse, "The Transformation of Foreign Policies: Modernization, Interdependence, and Externalization" **World Politics** 22:3 (April 1970), p. 371-392.

17- See Ibrahim F.I.Shihata, **The Other Face of OPEC: Financial Assistance to the Third World** (London. Longman, 1982) Part. 11.

الجمركية على المواد المستوردة من دولة معينة سيؤدي بطريقة غير مباشرة الى الحد من الاستيراد منها ووضع العوائق امام منتجاتها.

ثم هناك القيود النقدية Currency Regulations وتعني تولي الحكومة بنفسها الاشراف على ما يصرف من نقد في الخارج سواء لشراء سلع أو خدمات أو للسياحة والاستثمار. وحينما تمارس الحكومة اجراء القيد النقدي فهي تتولى بنفسها الاشراف على منح التراخيص الخاصة بتحويل العملات للخارج وشراء العملات الصعبة مثل الدولار والجنية الاسترليني. والحكومات تلجأ عادة لفرض القيود النقدية لحماية ميزان مدفوعاتها، وهو البيان الاجمالي السنوي الذي يصور ايرادات الدولة من الخارج ومدفوعات الدولة الى الخارج. وتدفق العملات للخارج بغض النظر عن الشكل الذي يأخذه التدفق له أثر سلبي في ميزان المدفوعات[١٨]. كما قد تفرض الحكومة القيد النقدي للحد من انفاق العملات الصعبة التي تمتلكها الدولة على أمور ثانوية وسلع كمالية واستخدام هذه العملات لشراء سلع وخدمات تفيد الاقتصاد القومي. فكثير من الدول النامية والاشتراكية تواجه مشكلة في الحصول على العملات الصعبة، لذا نجد انه بعد الحصول عليها تستخدمها أحسن استخدام بما يفيد المجتمع ككل وليس فئة من فئاته.

وقد تستخدم الدولة الحظر الاقتصادي Embargo كأداة للسياسة الخارجية. والحظر يعني عدم تصدير سلعة معينة الى دولة أو دول محددة لأسباب سياسية أو أقتصادية. وقد يكون الحظر كلياً أي منعاً شاملاً لتصدير السلعة أو جزئياً أي منع تصدير السلعة بنسبة معينة. مثال لذلك الحظر الجزئي الذي فرضته الدول العربية المنتجة للنفط على تصدير النفط لأمريكا وبعض الدول الغربية خلال الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٧٣م.

وعلى خلاف الحظر قد يكون الاجراء الاقتصادي المتبع هو المقاطعة Boycott. والمقاطعة تعني رفض استيراد السلع التي تنتجها دولة أو شركة معينة.

---

١٨ - د. حسين عمر، **موسوعة المصطلحات الاقتصادية**، (القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧م)، ص ٢٨٤.

وهي تفرض اما لاعتبارات اقتصادية أو سياسية لكنها كثيراً ما تفرض لاعتبارات سياسية مثل مقاطعة أمريكا للصادرات الكوبية ومقاطعة الدول العربية لاسرائيل والشركات الاجنبية التي تتعامل معها.

والاندماج الاقتصادي Economic Intergration يعتبر أيضاً أداة من أدوات السياسة الخارجية اذ انه عن طريق هذا الاندماج تحقق الدول بعض المنافع الاقتصادية وتواجه التحديات الاقتصادية التي ترفعها لها دول وتكتلات اجنبية. كما ان الاندماج الاقتصادي قد يكون خطوة نحو اندماج سياسي كما كانت الفكرة عند قيام السوق الأوروبية المشتركة حيث كان المؤسسون لها يتوقعون ان تؤدي الوحدة الاقتصادية الى وحدة سياسية[19]. لكن مبدأ السيادة القومية وتوسع دول السوق حال دون تحقيق هذه التوقعات وبقيت السوق مجرد وحدة اقتصادية.

وقد تلجأ الدولة الى الاعانات المحلية Subsidies كوسيلة لتحقيق اهداف اقتصادية خارجية. والاعانات المحلية تعني تقديم الحكومة نوعاً من الدعم المالي للصناعات المحلية لتساعدها على المنافسة الخارجية. مثال على ذلك الدعم الذي يقدمه صندوق التنمية الصناعية السعودي للمصانع المحلية لمساعدتها في تخفيض تكلفة انتاجها. وقيام الحكومة السعودية بتأسيس شركة الصناعات الاساسية (سابك) ومن ثم تحويلها للقطاع الخاص. فعن طريق تشجيع الصناعات تستفيد الدولة من الموادر الأولية المتاحة لها، وتنوع مصادر دخلها القومي.

وقد تستخدم الدولة تجميد الارصدة أو تأميمها كاجراء اقتصادي لتحقيق هدف سياسي. وهذا الاجراء يعني تجميد أو تأميم الارصدة والموجودات لدولة أجنبية داخل اقليم الدولة التي تلجأ الى مثل هذا الشكل من الاجراءات الاقتصادية. والتجميد يعني عدم السماح لدولة اجنبية باستخدام ارصدتها وموجوداتها داخل اقليم الدولة التي اتخذت اجراء التجميد حتى تستجيب الدولة

19- See Ernest B. Haas, **The United of Europe: Political Social, and Economic Forces 1950-1957.** (California: Stanford University Press. 1968). And Ernest B. Haas **The Obsolesence of Regional Integration Theory** (California, Institute of International Studies, University of California, Berkeley, 1975).

الأجنبية للمطالب السياسية والاقتصادية المطلوبة منها. مثال لذلك تجميد امريكا للارصدة والموجودات الايرانية خلال أزمة الرهائن في السفارة الامريكية في طهران عام ١٩٧٩م، حيث قامت أمريكا بتجميد الارصدة والموجودات الايرانية في البنوك الامريكية حتى قامت طهران باطلاق سراح الرهائن الامريكيين. أما التأميم فيقصد به مصادرة الأرصدة والموجودات لدولة أجنبية وتحويل ملكيتها الى الدولة التي اتخذت اجراء المصادرة. وتلجأ الدولة لمثل هذا الاجراء كنوع من العقاب الاقتصادي ضد دولة أخرى. وكثيراً ما تلجأ الدول حديثة الاستقلال الى اجراء التأميم مثل تأميم شركات البترول والبنوك كوسيلة للانتقام من الدول الاستعمارية والامبريالية.

وقد يكون الاجراء الاقتصادي المتبع هو تخفيض قيمة العملة المحلية Devaluation. والتخفيض اجراء اقتصادي تلجأ اليه الدولة لتشجيع صادراتها الى الدول الأخرى، حيث ان التخفيض في قيمة العملة يؤدي الى تقليل ثمن المنتجات المحلية في الخارج وهذا بدوره يؤدي الى زيادة الطلب عليها. مثال لذلك، لنفرض أن ثمن السيارة الامريكية من نوع «كابرس» بعد وصولها للمملكة هو عشرة آلاف دولار امريكي. وان سعر الدولار الرسمي هو ثلاثة ريالات وخمسون هللة. هذا يعني ان قيمة السيارة الامريكية بالريال السعودي هي خمسة وثلاثون ألف ريال (١٠٠٠٠ × ٣٫٥٠ = ٣٥٠٠٠). ونتيجة لمنافسة السيارات اليابانية للسيارات الامريكية وحرصاً من امريكا على تشجيع صادراتها قامت بتخفيض قيمة عملتها حيث اصبح سعر الدولار بالريال السعودي هو ثلاثة ريالات وأربعون هللة. ونتيجة لهذا التخفيض في قيمة الدولار فان سعر السيارة الأمريكية سوف ينخفض بحوالي ألف ريال حيث ان السعر الجديد للسيارة الأمريكية بالريال السعودي هو أربعة وثلاثون ألف ريال (١٠٠٠٠ × ٣٫٤٠ = ٣٤٠٠٠). وبسبب هذا الانخفاض في أسعار السيارات الأمريكية سيزداد الطلب عليها وهذا بدوره سيؤدي الى زيادة في صادرات السيارات الامريكية.

وهناك اداة اقتصادية اكثر فعالية في السياسة الخارجية ونعني بها المساعدات الخارجية Foreign Aid. والمساعدات الخارجية أول من استخدمها

الدول الغنية والقوية في المجتمع الدولي وبالذات الدول الغربية حيث وجدت هذه الدول ان المساعدات الخارجية وسيلة فعالة لاحتواء المد الشيوعي وبسط النفوذ الغربي في الدول النامية. لكن منذ منتصف الستينات بدأت الدول النامية الغنية تستخدم المساعدات الخارجية كوسيلة لتحقيق اهداف خارجية مختلفة.

والمساعدات الاقتصادية الخارجية تأخذ اشكالاً مختلفة. فقد تكون ثنائية أي تقدم من الدولة المانحة الى الدولة الممنوحة لها. وتقديم المساعدات الثنائية يتم ضمن قنوات مختلفة. فقد يتم عن طريق وزارة مالية الدولة المانحة حيث تقدم المساعدات على شكل مبالغ نقدية كدعم لميزانية الدولة المتلقية للمساعدة. وقد يتم على شكل مشاريع مختلفة تقيمها الدولة المانحة ومن ثم تقدمها كهدية للدولة المتلقية كما هي الحال في المشاريع التي يقيمها مكتب المشاريع السعودية ومكتب دولة الكويت في اليمن الشمالي، حيث تعمل هذه المكاتب كقنوات لنقل المساعدات والاشراف على تنفيذها. وقد يتم تقديم المساعدة عن طريق صناديق التنمية مثل «الصندوق السعودي للتنمية» و «الصندوق الكويتي للتنمية العربية» حيث تقدم هذه الصناديق تسهيلات مالية لمشاريع التنمية مقابل رسوم رمزية. وقد يأخذ تقديم المساعدات صفة الاقليمة، وليس الثنائية، أي يتم تقديم المساعدات المالية عن طريق مؤسسات تمويل اقليمية أو عبر اقليمية مثل «صندوق الأوبك للتنمية الدولية» و «البنك الاسلامي». وأخيراً قد يأخذ تقديم المساعدة الصفة العالمية أي يتم تقديم المساعدات المالية عن طريق مؤسسات تمويل دولية مثل «البنك الدولي للانشاء والتعمير» و «الوكالة الدولية للتنمية». وما يميز المساعدات الاقليمية والعالمية عن المساعدات الثنائية هو ان المساعدات الاقليمية والعالمية يغلب عليها، الى حد ما، الجانب الانساني على الجانب السياسي وهذا ما يجعلها اكثر تقبلاً وترحيباً لدى شعوب وحكومات الدول المتلقية للمساعدات.

أخيراً تلجأ، الدول ذات الموارد المالية المحدودة الى المساعدات الفنية Technical Assistance كأداة للسياسة الخارجية، حيث تقوم الدولة المقدمة

للمساعدات الفنية بتقديم الخبرات الفنية في مجالات فنية مختلفة مثل الزراعة، الصحة، الصناعة، والتعليم. ونظراً لتوفر الخبرات والامكانيات الفنية لدى اسرائيل ونتيجة لقلة مواردها المالية فهي كثيراً ما تلجأ الى استخدام المساعدات الفنية كأداة لسياستها الخارجية خصوصاً في الدول الافريقيةودول أمريكا اللاتينية.

obeikandl.com